دور المتاحف
في حفظ التراث والآثار العراقية

أ.م.د. غصون مزهر حسين **أ.م.د صبا حسين مولى**
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
الجامعة المستنصرية

المقدمة :

تعكس المتاحف مدى الأهتمام بالتاريخ والتراث ، كونها تقدم صورة واضحة لجوانب متعددة من تاريخ الوطن، وللهوية الثقافية للشعب. في ضوء ذلك ، فإن إقامة وإنشاء المتاحف يعد ضرورة وطنية يتم من خلالها الحفاظ على التراث الشعبي وحماية وحفظ الموروث الثقافي، للتعريف بمفرداته بوصفها ثروة وطنية، يكمن دور المتاحف على المستوى المجتمعي في زيادة الوعي لدي المواطن بأهمية الحفاظ على تراثه كشاهد تاريخي على اصالة الشعب كما يمكن الأجيال القادمة من الاطلاع على تاريخها وتاريخ أجدادها وعلى تراث شعبها الثقافي ، الماضي الثقافي والحضاري لا يمكن أن يعيش إلا من خلال تنشيط الذاكرة الثقافية ، فلهذا يعد المتحف من الأمكنة المهمة في تنشيط هذه الذاكرة كما يعد المتحف المكان الذي يربطنا بالماضي، من خلال الآثار والممتلكات الثقافية، فهو شهادة على الماضي التي تحفظ به جميع الآثار المادية التي خلفها السابقون. تعد المتاحف مؤسسة عامة تعنى بجمع تراكمات تاريخ التطور الحضاري للبلاد منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، وعرضها على سكانها والوافدين اليها من الزائرين والسياح . والمتاحف سواءً أكانت، أدبية او تأريخيه تعد من اهم الوسائل واسهلها لتوعية المجتمع ونقل المعرفة اليهم ، لأن من لا يعلم تأريخ امته يبقى جاهلا الى الابد .

المبحث الأول : اهمية المتاحف في حفظ الآثار والتراث

تعد المؤسسة المتحفية في العصر الحالي مظهراً حضارياً بارزاً ، وخاصة في دول العالم المتقدم ، فهي بمثابة المعهد العلمي والمركز الثقافي ، وهو المجال الذي من خلاله يتعرف المرء على التراث الحضاري لأمة ما ، وما انتجته من ثقافة عبر العصور ، فالمتحف يعكس حضارة وتاريخ الأمم السابقة امام الأجيال اللاحقة ويساهم في نشر الوعي العلمي والثقافي، وينمي الحس الحضاري لدى افراد المجتمع كافة، وخلال السنوات الأخيرة ازدادت اهمية المتحف مع بروز دوره في نشر الثقافة والمساهمة في التربية والتعليم ، إذ اصبحت إدارة المتحف وعماراته من اروقة وقاعات ، فضلا عن معارضه ومناهجه التثقيفية تشكل علماً قائماً بذاته يطلق عليه (علم المتاحف)، فالمتاحف الحديثة لا تهتم فقط بحيازة المقتنيات الثمينة ، بل يعرضها على الجمهور

بأساليب علمية ، لغرض تثقيف الشعب واشعاره بأهمية التراث المادي .

التعريف بالمتحف : ترتبط كلمة المتحف بأصل لغوي يرجع فيه الى معاجم وقواميس اللغة وأما تعاريفه الاصطلاحية فمتعددة ، ومرد ذلك التطور الحاصل على المتحف منذ نشأته الأولى كمكان لجمع وتكديس التحف الى مؤسسة قائمة بذاتها، هدفها المزاوجة بين المتعة والتثقيف .

التعريف اللغوي : كلمة متحف لفظة حديثة اشتقت من كلمة عربية قديمة هي التُحفة ، وتعني كلمة المتحف لغة: مكان التحف الفنية والأثرية ، وجمعها تُحف وجمع متحف متاحف ، مشتق من الفعل المجرد تُحف ، والتحفة: القطع الفاخرة الثمينة من الآثار والكتب واللوحات ونحوها ،مما له قيمة نادرة **(بطرس ، ١٩٥٦ ، ص١٧١)**.

التعريف الاصطلاحي : المتحف عبارة عن مبنى يحتوي على مجموعة من التحف الفنية والآثار القديمة ، يفتح للمشاركة والدراسة والتسلية ، وهو ايضاً مؤسسة تعنى بجمع الوثائق والحقائق وحفظها وعرضها ، مع تقديم حقائق مادية وتوظيف المعلومات اللازمة للتعرف على التراث الحضاري ، لذلك لا يمكن الجزم بتعريف متفق عليه للمتحف عند علماء المتاحف ، إلا إنه يمكن أن نذكر تعريفاً شاملاً وهو: (انه منشأة لحفظ المقتنيات وعرضها وتقييم مقتنياتها) ، فهو في ابسط صوره مكان تجمع وتصان فيه مجموعة من المعروضات بطرق مختلفة ، بقصد التمتع والتعلم والفحص والدراسة ، ويعنى المتحف من خلال ماهيته بالاهتمام بأجناس الشعوب والآثار القديمة ، فهو مؤسسة تعرض الأعمال الفنية القديمة **(عبد الفتاح ، ١٩٩٥ ، ص٧٠)** .

أهمية المتاحف : تشغل المتاحف الأثرية مكاناً مهما في المجتمع المعاصر ، وهي أكثر نشاطاً إذ تطبق وسائل الاعلام والتقنيات الحديثة في عروضها المتحفية أكثر وأكثر ، ومنذ سنوات قليلة أزدادت أهمية عرض التراث الأثري للمتاحف وتنوعت طرائق عرضها ، تتميز الآثار في الوقت الحاضر بأنها في اوج انتشارها في المتاحف ، فقد شغلت اولويات نشاطات وفعاليات المتاحف ، وكان ذلك نتيجة مباشرة لتطور التقنيات الأثرية ، فقد أنشئت متاحف جديدة ، كما وسّعت وجّددت المتاحف القديمة ، واصبحت طرائق العرض المتحفي في تطور مستمر، لتتلائم مع التقنيات الحديثة ومتطلبات المجتمعات المعاصرة . تعد المخلفات والبقايا الأثرية للحضارات القديمة جزءاً مهماً من التراث الانساني ، وإن الاهتمام بالمخلفات الأثرية وحفظها يزداد أهمية كل يوم على نطاق واسع محلياً وعالمياً ، وذلك نتيجة مباشرة لتطور اعمال التنقيب وتوسعها وأنشاء متاحف جديدة ومتنوعة ، وفي الوقت نفسه توسيع المتاحف الموجودة سابقاً وتجديدها ، هذا التطور الذي يمكن وصفه بالثورة المتحفية الحديثة سمح بأدخال التكنولوجيا الى المتاحف، لتطوير طرائق العرض وحفظ البقايا الأثرية ولارضاء متطلبات الجمهور والمجتمع **(سعيد ، ٢٠١٤ ، ص ٥٥٤)** .

أما أهم المنظمات الدولية التي تهتم بشؤون المتاحف فهي: (المجلس الدولي للمتاحف الايكوم ICOM وهو :منظمة دولية غير حكومية للمتاحف والعاملين فيها ، وتتألف من عضوية (١٤٦) ، تقوم بحفظ وتأمين استمرارية الاتصال مع التراث الثقافي والطبيعي العالمي ، الملموس وغير الملموس في الحاضر وفي المستقبل ، ومن أهم اعمال المجلس التركيز على:

١- التعاون والتبادل المهني .

٢- نشر المعرفة ورفع مستوى الوعي العام للمتاحف.

٣- تدريب الموظفين.

٤- تطوير المعايير المهنية .

٥- وضع أخلاقيات المهنة وتعزيزها .

٦- الحفاظ على التراث ومكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية **(سعيد ، ٢٠١٤ ، ص ٥٥٥)** .

اعطى المجلس الدولي للمتاحف (ICOM) اول تعريف للمتاحف عام ١٩٤٨ موضحا الأهمية المرجوة من المتحف ، وقد وضعت عدة تعديلات على هذا التعريف، لكي يناسب التطور الذي حصل بعد ذلك ، وكانت آخر صيغة قد عدلت عام ٢٠٠١ وهي: **(المتحف هو معهد دائم، دون هدف ربحي ، في خدمة المجتمع وتطوره ، مفتوح امام الجمهور ، وتجري فيه البحوث المخصصة للشواهد المادية للإنسان وبيئته ، يجمعها ويحفظها ويقدمها للجمهور بهدف الدراسة والتعليم والترفيه) (سعيد، ٢٠١٤ ، ص٥٥٦)** ، لهذا كان ضمن هذا التعريف عدة مواقع تصنف كمتاحف تنطبق عليها شروطه ومنها:

١- المواقع الطبيعية والأثرية والاثنوغرافية والتاريخية .

٢- المعاهد التي تحفظ وتعرض المجموعات والنماذج الحية النباتية والحيوانية كالحدائق النباتية وحدائق الحيوان واحواض الأسماك وغيرها .

٣- المراكز العلمية والفلكية .

٤- اروقة الفنون ذات الطابع غير الربحي ومعارضها مؤسسات الحفظ وأروقة العرض التي تحتوي مكتبة ومراكز الأرشيف .

٥- المحميات الطبيعية .

٦- منظمات المتاحف العالمية والوطنية والاقليمية والمحلية **(سعيد ، ٢٠١٤ ، ص ٥٥٦)**.

لذا تعد المتاحف مراكز تعليمية وثقافية وأدبية وترفيهية ، ومتنفس لقضاء أوقات الفراغ والعطل بما يفيد ، وهي وعاء المعرفة والتراث والثقافات المختلفة، وهي معلم حضاري وسجل متحدث بالعلوم والفنون والإبداعات المتنوعة، وهي أيقونة متطورة بأساليب العرض المشوقة ، وأيضا بإبتكاراتها الهادفة لتوصيل أسمى وأرقى وسائل التعليم والتثقيف المصحوبة بالإبهار ، فهي

صورة عكسية تماما مقارنة بالصورة المترسخة عند معظمنا نحن كعرب ، حيث يرى معظمنا أن المتاحف ما هي إلا مبان تضم مقتنيات مستهلكة ، إذا الفارق كبير جدا بين الثقافة المتحفية عند العرب وعند الغرب .

أهداف المتاحف: يهدف كل متحف إلى :

١. حماية التراث والأعمال الفنية المختلفة حسب أنواعها وحسب القيمة الفنية والتاريخية .
٢. التعريف بالفنون والقطع الأثرية ذات الأبعاد الثقافية والتاريخية والفنية.
٣. المحافظة على المجموعات الفنية ذات القيمة الوطنية أو العالمية.
٤. تقوم المتاحف بمهمة توصيل المعلومة، عن طريق التحف الفنية التي تعكس تاريخ او حضارة أو ثقافة شعوب.
٥. تهدف المتاحف إلى تحقيق العدالة في حق الجميع في التربية والثقافة **(حميد حملاوي،** (secg.univ-guelma.dz › sites › default › files).

وظائف وأهمية المتاحف:

- تساهم المتاحف في التربية والتثقيف وحفظ الآثار والمقتنيات التاريخية والفنية .
- تساعد المتاحث الأجيال على ربط ماضيها بحاضرها ورسم مستقبلها.
- إثراء الجانب المعرفي والوجداني لدى الأطفال ، والمساهمة في التعريف بالتاريخ والثقافة وهذا ينمي عندهم روح الإنتماء.
- جعل عملية التعلم أكثر إثارة وتشويق وتكون بمثابة التطبيق العلمي لما بتم دراسته نظريا.
- السماح للزائرين بالتعامل مع التحف والمعروضات بشكل مباشر.
- جعل المعلومات باقية الأثر وراسخة في الأذهان وتساهم في معرفة الفروق الفردية .
- الإطلاع على المصادر الثقافية ومعرفة الدلائل التاريخية ومميزات كل عصر والإختلاف من حيث المكونات الثقافية والحضارية التي تساهم في التواصل الفكري والمعرفي.
- المتاحف مصدر الإبداع والإبتكار وإعداد الأجيال والتواصل بين الشعوب والثقافات والحضارات .
- المحافظة على الهوية الوطنية (توثيق مسيرة الشعوب) **(حميد حملاوي ، المصدر السابق ، ص ٩)** .

تساهم المتاحف في الحياة الفكرية في المجتمعات وتحدد أبعاد ومفاهيم ' الدولة 'المواطنة' الإنسان والطبيعة الإنسانية وعملية التنشئة ، صيانة الذاكرة الوطنية والمحافظة على التراث في صلب التنمية البشرية' وعد متاحف المقاومة وجيش التحرير الوطني أنموذجا للتنشئة الإجتماعية ، إن إحداث هذا النوع من المتاحف سيحافظ على الذاكرة والتراث الوطني ونشر ثقافة

المواطنة وتعزيز صيانة الذاكرة والإئتمان عليها وتعميق الوعي الوطني وترسيخ القيم الإيجابية لدى الأجيال ، تمثل التنشئة المتحفية خيارا إستراتيجيا للحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي والثقافي والهوية الوطنية، والمساهمة في التنمية البشرية والتنمية المستديمة، وذلك بالنظر إلى الدور الذي يضطلع في المجال السياحي والحركة الإقتصادية والإجتماعية المرتبطة بالمواقع الأثرية والمدن العتيقة والمتاحف بجميع اصنافها.

المبحث الثاني : دور المتاحف في حفظ التراث والآثار العراقية

بعد بيان اهمية المتاحف ودورها في الحياة الثقافية للمجتمعات ، ودورها في الحفاظ على الموروث الحضاري والثقافي ، وتنشئة المجتمع على الاعتزاز بالقيم الحضارية لوطنهم والمحافظة عليها ، سنقوم ببيان دور المتاحف العراقية في الحفاظ على الآثار والتراث العراقي من خلال التركيز على المتحف العراقي ومتحف الموصل ودورهما الحضاري كأنموذج لعمل المتاحف العراقية وكونها الأبرز على مستوى العراق ، وقبل ذلك نبذة تاريخية عن دائرة الآثار .

١ –نظرة تاريخية عن مديرية الآثار:

تأسست دائرة الآثار في بغداد عام ١٩٢٠ ، باسم الدائرة (الاركيولوجية) الاثارية ، فبادرت الإدارة البريطانية في العراق الى إناطة هذا العمل الى سكرتيرة الشرقية لدار الاعتماد البريطاني ، فأصدرت قانون الاثار ١٩٢٤، الذي حمل في طياته ثغرات عديدة في مجال حماية الآثار ، فعلى سبيل المثال ، عندما يقدم التاجر طلب التصدير يكون على دائرة الآثار أما أن تشتري الآثار بالثمن المذكور في استمارة التصدير من قبل التاجر ، واما أن ترخص له بالتصدير ، وبما ان ميزانية الدائرة لشراء الآثار كانت محدودة بطبيعة الحال ، فكان التجار لا يتقدمون بطلب التصدير للآثار ذات الأهمية الخاصة إلا في الأشهر الأخيرة من السنة المالية فلا تجد الدائرة مجالا لشرائها ، فتضطر الى الترخيص بتصديرها ، فمن الطبيعي في ظل هذه الأوضاع أن تخرج نفائس الآثار برخص رسمية فضلا عن التهريب **(ساطع ، ١٩٦٨ ، ص٣٩٥)** ، واعطى القانون للمنقبين حصة من الآثار المكتشفة ، بطريقة تقسيم الآثار بين المتحف والبعثة التنقيبية، فالآثار المكررة تقسم عن طريق المناصفة ، والآثار الفريدة تقسم عن طريق القرعة فتكون احداها للمتحف والثانية الى البعثة ، والآثار من حصة المتحف تنقل الى الخارج بحجة معالجتها او دراستها **(الوقائع العراقية ، ع ٤١٢)**، في عام ١٩٤١ تقرر تحويل دائرة الآثار الى مديرية الآثار ، وتولى مهامها **مستر كوك** الذي كان مستشارا لوزارة الأوقاف ويمارس تجارة الآثار ، فعمل على استغلال منصبه الإداري بتهريب الآثار الى خارج العراق ، وقد اكتشف امره عندما تحطم في مدينة الرطبة الحدودية احد الصناديق التي ارسلها على اساس انها امتعة شخصية له وظهر أن ذلك الصندوق كان مملوءا بالآثار العراقية ، وبناء على ذلك ، قام المندوب البريطاني

بتسفيره الى بريطانيا (**قحطان ، ١٩٨٧ ، ص ١٨**). بعد ذلك عين **سدني سمث** ، الذي كان معاونا لمدير المتحف البريطاني، ومن بعده الدكتور يوردان الذي كان مدير البعثات التنقيبات في المانيا، ثم **ساطع الحصري** هو اول وطني عراقي تقلد منصب المدير العام (١٩٣٤-١٩٤١) ، عمل بجهد كبير في سبيل النهوض بواقع الدائرة وترميم سمعتها بعد أن اصبح الناس ينظرون اليها على أنها دائرة لتهريب الآثار وليس المحافظة عليها كما عمل على تعديل قانون الآثار بشكل يحافظ على الآثار العراقية ، رغبت مديرية الآثار العامة بالقيام بخدمات علمية وثقافية اوسع نطاقا وابعد مدى ، فقررت اصدار مجلة دورية بأسم (سومر) على أن تصدر مرتين في السنة وتضم نتائج ما تقوم به الدائرة من اعمال تنقيبيه أو بحوث تاريخية ، فصدر الجزء الأول من المجلة منتصف الشهر الأول من عام ١٩٤٥ (**فهمي ، ١٩٦٠**). في عام ١٩٧٩ تم تحويل مديرية الآثار القديمة العامة الى مؤسسة عرفت " **المؤسسة العامة للآثار والتراث** " وتضم اربعة مديريات ، مديرية آثار ومتاحف المنطقة الشمالية ، ومديرية آثار متاحف المنطقة الجنوبية ، مديرية آثار ومتاحف اواسط الفرات ، مديرية آثار ومتاحف المنطقة الجنوبية (**الوقائع العراقية ، ع ٢٧٢**)، وصدر قرار رقم (٢١٤) بإلغاء المؤسسة العامة للآثار والتراث ومجلس ادارتها ، ودمج الدوائر التابعة لها بدائرة واحدة تسمى (دائرة الآثار والتراث) في ١٩٨٧/٤/٥ (**الوقائع العراقية ، ع ٣١٤٥**) .

٢- تأسيس المتحف الوطني العراقي

كانت البدايات الأولى للمتحف في منطقة السراي (القشلة ١٩٢٣-١٩٤٥) قوامها قاعة واحدة تضم الحصيلة الأولى من أعمال التنقيب التي جرت في مدينة اور ومدينة كيش . وفي هذه المرحلة لم تكن هنالك مكتبة حيث تناثرت الكتب والمخطوطات التراثية في اروقة المتحف الوطني، التي كانت تهتم بآثار العراق ولغات العراق القديمة وتواريخ شعوبه والحضارات السومرية والبابلية والآشورية ، وفي هذه المرحلة كانت **المس بيل** مديرة فخرية له ، ومع مرور الوقت ولضيق المكان وازدياد المصادر العلمية بدأت الأنظار تتجه لموقع جديد في المأمون (**اعتماد ، ١٩٨٦ ، ص٢٧**). تكون الموقع الجديد من طابقين: الأول يشتمل على مكتبة المتحف التي تضم اكثر من عشرة آلاف مجلد من مختلف اللغات الشرقية والغربية ، وقد كلف الاستاذ **كوركيس عواد** ليشغل وظيفة أمين المكتبة ، فبذل جهدا واسعا في اختيار الكتب النادرة والمهمة للمكتبة، حتى أصبحت مرجعا ثقافيا يرتادها أعلام العراق من أدباء ومؤرخين، لما تحتويه من مصادر ومراجع ونوادر الكتب، فكانت مركزا للعلم والأدب والثقافة (**النشرة الشهرية ، ١٩٦٦**).

أما الطابق الثاني ففيه ثلاثة قاعات خصصت جميعها لعرض نتائج التنقيبات التي قامت بها المديرية العامة للآثار خلال السنوات (١٩٣٩-١٩٤٥) ، لتمثل صورة لتأريخ العراق منذ أقدم العصور الى اواخر العصر العباسي **(مجلة بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٢٩)**.

في (٢٠) أذار ١٩٤٥ افتتح المتحف الوطني رسميا بحضور عبد الإله الوصي على العرش ، وفي (١٣) كانون الأول من العام ذاته زار الملك فيصل الثاني المتحف وابدى رغبته في الإطلاع على جميع المخطوطات **(سامي ،١٩٤٥ ، ص ١٤٥)**.

ومع تزايد مجاميع المكتبة من الكتب والمخطوطات سواء عن طريق الشراء والهدايا والتبادل، فضلا عن ما حصلت علية من مكتبات خاصة عديدة ، فارتأت ادارة المتحف أن تجد مكانا آخر يستوعب هذه الزيادة، فكان الموقع في الصالحية **(عبد الوهاب، ١٩٤٦ ، ص٢٦٥)**. وضع تصميم خاص لبناية المتحف الوطني روعيت فيها أساليب بناء المتاحف الأصلية ، تم الافتتاح الفعلي في ٩/تشرين الثاني / ١٩٦٦ بحضور عبد الرحمن عارف – رئيس الجمهورية آنذاك – ومعظم آثاريين واكاديميين العراق، ليبدأ مرحلة جديدة من تاريخه لخدمة تاريخ وحضارة العراق **(كوركيس ، ١٩٤٥ ، ص١٣٨)**. ضم المتحف العراقي (١٨) قاعة كل واحدة منها تتحدث عن آثار المراحل التي مر بها تاريخ العراق ، منها على سبيل المثال :

- آثار عصر القرى الزراعية المبكرة التي يمتد عمرها إلى (٨) آلاف سنة أو ٧-٦ آلاف سنة تقريباً أي إلى العصر الحجري
- عصر الاستقرار في الجنوب حيث نشأت الحضارة السومرية
- عصر الدولة الأكدية وحقبة اختراع الكتابة
- العصر البابلي القديم
- الحقبة الآشورية البسيطة والحديثة
- الحقبة البابلية البسيطة والحديثة
- حقب ما قبل الإسلام (الساساني)
- عصر الحضارة الإسلامية
- العصور المظلمة التي تلت سقوط بغداد على يد المغول .

ويكون ترتيب قاعات الحضارات حسب قدمها حيث تكون قاعات الحضارات الأقدم في بداية المتحف، وكلما تعمق الزائر كلما تقدمت آثار الحضارات إلى الأحدث وصولا إلى الآثار الإسلامية في نهاية المتحف **(فرج بصمة جي ، ١٩٧٢ ، ص١٢٢)**.

كما يوجد متحف خاص بالطفل موجود ضمن المتحف العراقي، وهو متحف مصغر ذو هدف تربوي وتعليمي، يوصل فكرة كيف عاش الإنسان القديم وكيف تعلم وكيف اخترع الكتابة وبنى قرية إلى الطفل **(دليل المتحف ، ١٩٦٦ ، ص٧)** .

ويأتي المتحف العراقي في المرتبة السادسة بين متاحف العالم، وذلك لميزته الخاصة، فهو يستعرض التطورات الحضارية للعراق بشكل متسلسل، بدون انقطاع، كما يعكس التطور الحضاري في حضارة الشرق القديم بأكمله. ولعل التسلسل الحضاري للقطع الأثرية هو ما يمنح هذا المتحف مكانة خاصة بين بقية متاحف العالم.

المتحف الوطني العراقي والحروب:

ظل المتحف العراقي مفتوحا طوال سنوات الحرب العراقية الإيرانية. إلا إنه أغلق سنة ١٩٩٠ بعد تعرض بعض البنايات المقابلة له للقصف فأصبح في خطر، وعندئذ نقلت المئات من مقتنياته إلى طابق تحت الأرض ، وقد أدى هذا الإجراء الاحترازي إلى تضرر القطع المخزونة، لارتفاع منسوب المياه الجوفية ، وفي سنة ٢٠٠٠ أعيد افتتاح المعرض، ثم أغلق سنة ٢٠٠٣ قبيل بداية الحرب الأميركية على العراق (**صحيفتي الاتحاد والشرق ، ٢٠٠٩**).

عانى المتحف من اكبر عملية تدمير في تاريخه بعد عام ٢٠٠٣ ، جراء عمليات السرقة التي نالت آثاره ، فهناك ما يقارب (١٧٠) الف قطعة أثرية اصبحت في حكم المفقودة ، بينها (١٥) الف قطعة ضمن مقتنيات المتحف العراقي ، منها ما يشكل أهم ارشيف في تاريخ البشرية على الاطلاق، مثل : الإناء الذهبي الذي يمثل الفلسفة السومرية في مسألتي الحياة والموت ، ورأس الفتاة السومرية التي عرفت بـ " موناليزا العراق " ... . عاد المتحف ليمارس دوره الحضاري عام ٢٠٠٩ ، بعد اجراء عمليات الصيانة في البناية وإعادة ترتيب كتبه وآثاره ، بعد استعادة ستة آلاف قطعة أثرية من اصل (١٥) ألف قطعة سرقت في ٢٠٠٣ من المتحف ، ساهمت جهات عديدة في عملية إعادة إعمار المتحف وصيانة مقتنياته الأثرية ومنها: اليونسكو ومركز البحوث الشرقية لجامعة شيكاغو، ومؤسسة كيتي الأمريكية وصندوق النصب العالمية، ومؤسسة جايكا اليابانية، ووزارة الثقافة الإيطالية فضلاً عن أطراف أخرى ، كما اسهم المواطنون العراقيون ومؤسسات الدولة والدول العربية والأجنبية بإعادة الآثار المسروقة. فقد أعادت سوريا (٧٠١) قطعة أثرية وأعاد الأردن (٢٤٦٦) قطعة واعادت اميركا (١٠٤٦) قطعة فضلا عن دول عديدة منها : السويد، وايطاليا، والبيرو، ومصر (**وكالة نون ، ٢٠١٢**) .

ومن الجدير بالذكر ، ان القطع المستردة حتى نهاية عام ٢٠٠٨ ، في ضوء تصريح رئيس قسم التسلم في المتحف العراقي أمل عبد الرزاق تصنيفها إلى ثلاثة أنواع وهي قطع مختلفة تم الحصول عليها بطريقة النبش والنهب ، وبلغ مجموعها (٢٧٩٥٠) قطعة أثرية ، ومسكوكات بلغ مجموعها ٢٢٠٠٢ مسكوكة نقدية وقطع تحمل أرقاماً متحفيه بلغ مجموعها ٤٠١٢ قطعة أثرية ، ومن أهم القطع التي أعيدت إلى المتحف، الإناء النذري من الوركاء، ووجه الفتاة السومرية ورأس الملك سرجون الأكدي (**المتحف الوطني ، ٢٠٠٨**).

واخيراً يمكن القول: إن افتتاح المتحف الوطني حدثا مهما يحمل رسالة تطمين للعراقيين مفادها ان الحياة قد عادت إلى بغداد، وأخرى الى العالم تدفعه لمساعدة العراق بإعادة ما نهب من آثاره بعد احداث عام ٢٠٠٣. فضلا عن إعادة افتتاح المتحف وكل ما فيه من كنوز حضارية فائقة المثال هو عودة طيبة لمؤسسة ثقافية جديرة بالتذكير والتنويه ودعوة الى العالم بأسره للنظر الى بلد الحضارات نظرة ملائمة للمستجدات الحضارية التي حاولت جهات كثيرة طمسها، ابتداء من سرقة المتحف العراقي في ظروف غير طبيعية مربها العراق عام ٢٠٠٣.

٣- الإطار التاريخي لمتحف الموصل :

من المتاحف المهمة في العراق متحف الموصل ، الذي يتصدر المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد المتحف العراقي في بغداد ، تأسس المتحف عام ١٩٥٢ اقتصرت بنايته على قاعة صغيرة ، إلا إنه تم إنشاء مبنى جديد له في عام ١٩٧٢ ، والموجود الى يومنا هذا ، حيث ضمت بنايته الجديدة ٤ قاعات أحدها للآثار القديمة ، وأخرى للآثار الآشورية ، وثالثة للآثار الحضرية ، والأخيرة للآثار الإسلامية **(إبراهيم ، ٢٠١٥)** . وإلى جانب التماثيل الآشورية الشهيرة للثيران المجنحة، كان متحف الموصل يضم آثار السومريين والأكديين (نسبة للإمبراطورية الأكدية)، وقطعا أثرية من الحقبة الهيلينية التي سبقت المسيحية بثلاثة قرون. فضلاً عن قطع صغيرة متنوعة عُثر عليها في القصور الملكية بمدينة نمرود الأثرية (جنوب شرقي الموصل والتي دمرها داعش عام ٢٠١٥) تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد **(التقرير السنوي ، ٢٠١٤-٢٠١٥ ، ص ٢٢)**.

وثمة حقيقة تاريخية تؤكد أن دوره لم يقتصر على عرض الآثار والموجودات القديمة من آشورية وحضرية وعربية إسلامية، بل شهدت قاعاته ومكتبته الغنية عشرات النشاطات الثقافية والفنية . بطبيعة الحال ، ضم المتحف العديد من القاعات التي عرضت في ثناياها تاريخ الآثار والنفائس الأثرية القديمة والتي تعود لعصور مختلفة ويشكل الجزء الأكبر من هذه الآثار ، آثار اكتشفت في الحضر تعود الى حقب سابقة وخاصة العصر الفرثي (القرن الثاني قبل الميلاد) ويحتوي على آثار آشورية اكتشفت جميعاً في اطلال النمرود ويعود زمنها الى القرنين السابع والثامن قبل الميلاد ، ومعروضات أخرى للخرائط والمخططات تتعلق بآثار هذه المنطقة والتنقيبات التي جرت فيها.

متحف الموصل وعمليات التهديم بعد عام ٢٠٠٣

قبل أحداث٢٠٠٣ تم إغلاق المتحف واخلاءه من القطع الصغيرة القابلة للحمل والبالغ عددها نحو ١٥٠٠ قطعة ونقلها في صناديق، لأغراض الخزن المركزي بالمتحف العراقي، فيما ظل المتحف يحتفظ بالقطع الكبيرة المعروضة خارج خزانات العرض والتي يصل وزن البعض

منها إلى اطنان ويصعب بذلك نقلها، وفي غضون ذلك تعرض المتحف والمخزن للسرقة والتخريب تم خلالها سرقة ثماني قطع ستة منها أصلية والباقي نسخ جبسي ولم يتم استعادتها حتى اللحظة (**التقرير السنوي ، ٢٠١٤-٢٠١٥ ، ص ٢٥**).

وبعد ذلك تم إعادة افتتاح المتحف سنة ٢٠٠٠ لما تبقً منه من معروضات والتي بلغ عددها (٩٥) قطعة اثرية موزعة بقاعات العرض وبواقع ٣٠ في القاعة الآشورية، (ثلاثة منها نسخ جبسيه)، و ٣٠ في القاعة الحضرية، (ثلاثة منها نسخ جبسيه) و ٣٥ في القاعة الاسلامية جميعها اصلية (**إبراهيم ، ٢٠١٥**). تعرض المتحف لتدمير وحشي عام ٢٠١٤ من قبل عصابات داعش والتي قامت بتحطيم اغلب القطع الآثرية المعروضة فيه خاصة في القاعة الحضرية أما باقي القطع فمصيرها مجهول ، وهناك ٢٠ قطع أخرى خارج قاعات العرض موزعة بمدخل المتحف الخارجي والاستعلامات، فضلاً عن وجود لوحتين زيتية للرسام العراقي حافظ الدروبي تمثل احداهما مشهد من الحياة اليومية في مدينة الحضر والأخرى البلاط الملكي الآشوري (**التقرير السنوي ، ٢٠١٤-٢٠١٥ ، ص ٢٥**).

أما مخزن الآثار والمجاور لبناية المفتشية (المتحف السابق) فهو بشكل مستطيل وله مدخل خارجي مستقل ويضم تمثال من حجر الحلان للآلة نابوا من مدينة نمرود وعدد كبير من القطع الأثرية اغلبها عبارة عن بلاطات من حجر الحلان تم جلبها من مدينة نينوى خلال تنقيبات عام ١٩٩١، فضلاً عن اواني فخارية متعددة وهياكل عظمية، وفي حقيقة الأمر لا توجد احصائية لتلك القطع كما ان مصيرها مجهول. وفي صورة تاريخية مؤثرة ، عندما اقدم تنظيم داعش، ببث مباشر بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٦ تسجيلات مصوره بتحطيم محتويات المتحف ، ليوضح التصوير اليه تدمير المتحف باستعمال المضارب ذات (٥-١٠خمسة كيلو)، فضلا عن تدمير الآثار الحضرية الكائنة في نفس القاعة وتدمير جزء مميز من الحضارة الآشورية وهو الثور المجنح وتماثيل حضرية ذات طراز مميز منها تمثال الملك " انال" ونموذج بديع من تمثال هرقل ، وقاموا ايضاً بتدمير محتويات القاعة الثانية التي تحتوي على خزائن نفيسة من اللقى الأثرية التي تعود الى العصور الحجرية ، ولشده كرها للإرث الحضاري قامت هذه المجاميع المتطرفة بتدمير هذه اللقى بالكامل تفخيخ المتحف وتفجيره من الداخل، فدمر كل ما فيه (https://www.youm7.com/story).

وكان بحجة انها اصنام كانت تعبد ومن مضامين المذهب أن تدمر او تخرب ولكن حقيقة الأمر اعتداء بشكل همجي على الإرث الحضاري لحضارة وادي الرافدين العريقة الموجودة قبل أن يفتح الارهاب عينه على الحياة ..

الخاتمة :

وفي ختام هذه الدراسة نصل الى ان العالم الجديد وتطوره ، وانتشار الثقافة الواحدة يطرح عدة تحديات كبيرة امام الثقافات والهويات الوطنية في العالم ، لذلك يجب على السياسات الثقافية إدراج مشروع تقوية الشعور الوطني والهوية الوطنية ، وتطويرها في مقابل ظهور الشكل الواحد لطرائق حياة الناس والعولمة ، وهو ما تقوم به متاحف الآثار التي تعد المعاهد الحقيقية التي تعنى بالمستقبل والماضي معا ، بناءً على ذلك يشكل متحف الآثار مكان الذاكرة لكل امة، والذي يعبر عن هويتها الثقافية ويشكل في الوقت نفسه مكاناً يدل على العلم والتعليم ، ورمزاً للهوية الوطنية ، كما أن متحف الآثار هو البطاقة الشخصية للمجتمع التي تعرض الرابط بين الإنسان وتاريخه ومحيطه ومستقبله ، كما تعرض أيضاً الروابط بالهوية والذاكرة والانتماء والثقافة. إن للظروف السياسية أثر كبير على حياة المجتمع ، وبقدر تعلق الأمر بالبحث ، وجدنا أن الحرب تساهم بشكل مباشر في تدمير الواقع الثقافي من خلال تعرض المواقع الأثرية والمتاحف الى تدمير بفعل العمليات العسكرية ، او السرقة من قبل عصابات متخصصة بالجانب التراث ، الى جانب حدوث خلل امني على الساحة السياسة التي تؤدي بخروج تنظيمات ارهابية مستغلة الوضع ، وهذا الأمر ما حدث في الموصل التي تعرضت الى تدمير شامل بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وكان تدمير متحف الموصل نقطة سوداء في كتب التاريخ ، لان ما تعرض اليه كان هدفة واضح المعالم بتدمير حضارة كاملة بعينها ، حضارة وادي الرافدين . يمكننا الاستفادة من التجارب الماضية ، ومحاولة إرجاع الآثار عن طريق العلاقات الخارجية او المحاكم الدولية ، الى جانب توفير الحماية الفعلية للمواقع الأثرية من قبل الحكومة المحلية والمجتمع الدولي .والقيام بعمليات الصيانة والترميم لكل المواقع الأثرية التي تعرضت للخراب .

المصادر :

١- ابراهيم خليل العلاف ، تاريخ انشاء المتحف الحضاري في الموصل ، جريدة المدى ، بغداد ، ١ / ٣/ ٢٠١٥ .

٢- اعتماد يوسف القيصري ، نشرة المتحف العراقي ، السنة الثانية ، العدد الاول ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧.

٣- بطرس البستاني ، القطر المحيط ، بيروت ، ١٩٥٦، ص ١٧١ .

٤- التقرير السنوي عن تدمير الموروث الحضاري في محافظة نينوى في ١٠/ حزيران /٢٠١٤ ولغاية ١٠ /حزيران / ٢٠١٥ ، اصدار وزارة السياحة والاثار ، ص ٢٢.

٥- حطان رشيد صالح ، الكشاف الاثري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٨.

٦- حميد حملاوي ، السياق السيولوجي للتنشئة المتحفية ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥/ قالمة ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، بحث منشور على شبكة المعلومات العالمية (secg.univ-guelma.dz › sites › default › files)
٧- دليل المتحف العراقي ، بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٦ ، ص ٧.
٨- ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق ، بيروت ، ١٩٦٨، ص ٣٩٥ .
٩- سامي الصكار ، الاحتفال بأفتتاح معرض التنقيبات الاثارية ، مجلة سومر ، المجلد الاول ، كانون الثاني ،١٩٤٥، ص ١٤٥.
١٠- سعيد الحجي ، متاحف الاثار هويتها وتطورها وواقعها المعاصر ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٣٠ ، العدد ٣+٤ / ٢٠١٤ ، ص ٥٥٤.
١١- صحيفة الاتحاد ، ٢٠٠٩ ؛ صحيفة الشرق ، ٢٠٠٩.
١٢- عبد الفتاح مصطفى غنيمة ، المتاحف والمعارض والقصور (وسائل تعليمية) ، السلسلة لمعرفية الحضارية ، ١٩٩٥ ، ص ٧٠.
١٣- عبد الوهاب الامين ، باب المراسلات والانباء ، مجلة سومر ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ، تموز ، ١٩٤٦، ص ٢٦٥.
١٤- فرح بصمة جي ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٢.
١٥- فهمي درويش ومصطفى جواد ، دليل الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٦٠.
١٦- كوركيس عواد ، خزانة كتب المتحف العراقي ، مجلة سومر ، المجلد الاول ، السنة الاولى ، تموز ، ١٩٤٥، ص ١٣٨.
١٧- المتحف الوطني العراقي ، موقع الجزيرة نت ، في ٣١/ ١ / ٢٠٠٨.
١٨- مجلة بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، العدد ٢٩ ، ١٩٧٠ ، ص ١١.
١٩- النشرة الشهرية لمكتبة المتحف العراقي ، السنة السادسة ، العدد الثامن ، ١٩٦٦، عدد خاص عن المتحف.
٢٠- الوقائع العراقية ، العدد ٢٧٢ ، في ٩ / ٧/ ١٩٧٩.
٢١- الوقائع العراقية ، العدد ٣١٤٥ ، في ١٣ / ٤ / ١٩٨٧.
٢٢- الوقائع العراقية ، العدد ٤١٢ ، السنة الرابعة ، ١١/ اذار / ١٩٢٦.
٢٣- وكالة نون الخبرية ، في ٢٠ / ٩ / ٢٠١٢.
٢٤- الموقع الالكتروني https://www.youm7.com/story